الجزء الخامس – الخطبة رقم ٨

الجمعة ٣٠/ ١٠/ ١٤٢٣هـ

الشكر

إن الحمد لله ... أما بعد:

فمعاشر المسلمين لما كانت نعم الله على العباد تترى، فمن نعم في الأبدان ونعم في الأوطان ونعم في الأرزاق وأعظم ذلك نعمة الإسلام، لما كان الأمر كذلك كان من لازم ذلك أن يعبد العبد مسدي هذه النعم، ولما كان تعبد العبد لربه قربة يتقرب بها كان من حكمة الله تعالى أن نوع بين العبادات وفاضل بينها، فعبادات مكانية وأخرى زمانية وعبادات مالية وأخرى بدنية إلى غير ذلك.

معاشر المسلمين: وإن من أعظم العبادات وأرفعها قدراً عند الله التعبد لله تعالى بشكره؛ فشكر العبد لربه بصدق وإخلاص يفتح على العبد أبواب الخير ويغلق عنه أبواب الشر، ذلكم لأن نتيجة الشكر تتضمن خيري الدين والدنيا والبرزخ والآخرة، وأما حقيقة الشكر فكما قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"الشكر هو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهراً وباطناً" الفوائد صـــ ١٢٧

معاشر المسلمين: ومن عظيم أمر الشكر أن الله تعالى أمر العباد به بل وحضهم عليه كما في قوله تعالى:"ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله" "فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" "يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله" "فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له"

معاشر المسلمين: ولما كان أنبياء الله ورسله عليهم السلام أعلم الناس بالله وأسبقهم بالخيرات أمروا بالشكر لعظيم أمره وجليل قدره "قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس

برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين" ومن أمر ربنا تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم:"بل الله فاعبد وكن من الشاكرين"

معاشر المسلمين: ومن عظيم أمر الشكر أن الله مدح بذلك أنبياءه ورسله فقال تعالى عن نوح عليه السلام:"ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبداً شكوراً" وقال عن إبراهيم الخليل عليه السلام:"شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم" وعن سليمان عليه السلام:"قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي" وعن آل داود:"اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور"

معاشر المسلمين: أما ما كان من شأن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان شيئاً عجباً؛ فقد كان صلى الله عليه وسلم مع شريف مكانه ورفيع منزلته أشكر الناس لربه تعالى، فعن المغيرة بن شعبة رضي الله تعالى عنه قال: إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم – أو ليصلي – حتى ترم قدماه أو ساقاه، فيقال له؛ فيقول:"أفلا أكون عبداً شكوراً" أخرجه البخاري.

معاشر المسلمين: إنما كان الأنبياء والرسل عليهم السلام أكثر شكراً لله تعالى لأنهم أعلم الناس بالله وأرجاهم لله وأخوفهم منه، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:(إنما ألزم الأنبياء أنفسهم بشدة الخوف لعلمهم بعظيم نعمة الله تعالى عليهم وأنه ابتداهم بها قبل استحقاقها فبذلوا مجهودهم في عبادته ليؤدوا بعض شكره مع أن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العباد، والله أعلم ٣/ ٢٠)

معاشر المسلمين: ومع أن أنبياء الله ورسله عليهم السلام كانوا أشكر الناس لله تعالى، مع ذلك كله كانوا يسألون الله تعالى الإعانة على القيام بشكره؛ فقد أخبر الله تعالى عن سليمان عليه السلام بقوله:"قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين". قال الشيخ

السعدي رحمه الله تعالى:(إن النعمة على الوالدين نعمة على الولد، ثم قال: فسأل سليمان ربه التوفيق للقيام بشكر نعمته الدينية والدنيوية عليه وعلى والديه).

معاشر المسلمين: وأما ما كان من شأن نبينا صلى الله عليه وسلم في سؤال ربه الإعانة على القيام بشكره فقد كان صلى الله عليه وسلم كثير السؤال، فقد كان يقول دبر كل صلاة:"اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك" وأوصى بذلك أصحابه كما أخرجه أبو داود في سننه عن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه. وكان صلى الله عليه وسلم يضمن أدعيته تخصيص طلب الشكر كما في قوله صلى الله عليه وسلم:"واجعلني لك شكّاراً" أخرجه الترمذي. وقوله صلى الله عليه وسلم:"شكاراً" صيغة مبالغة يعني كثير الشكر ودائمه. وكان صلى الله عليه وسلم يشكر ربه بفعله كما يشكره بقوله؛ (فعن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا جاءه خبر يسره خر ساجداً لله) أخرجه الخمسة إلا النسائي، وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: سجد النبي صلى الله عليه وسلم فأطال السجود ثم رفع رأسه فقال:"إن جبريل أتاني فبشرني فسجدت لله شكراً" رواه أحمد وأبو داود.

معاشر المسلمين: ولما كانت منزلة الشكر بهذه المثابة خصت بمزيد من الذكر والأجر وإن كانت جميع العبادات يؤجر عليها صاحبها إلا أن من المقرر عند أهل العلم أن العبادات تتفاضل فيما بينها وأن تخصيص عبادة بكثير ذكر ومدح لأهلها يدل على تمييزها عن غيرها، ولذا خص الشكر بالجزاء والثناء على أهله "وسيجزي الله الشاكرين" "وسنجزي الشاكرين" "نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر" "أليس الله بأعلم بالشاكرين" "بل الله فاعبد وكن من الشاكرين".

معاشر المسلمين: ولما كان شكر الله تعالى سبيلاً إلى مرضاته كما قال تعالى:"وإن تشكروا يرضه لكم" هيأ الله عز وجل لعباده من الأسباب والنعم ما يجعلهم شاكرين له إن

هم رعوها حق رعايتها؛ فجعل التقوى موصلة إلى الشكر:"واتقوا الله لعلكم تشكرون" وأتم النعمة ليشكروه:"وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون" وبين لهم الآيات ليشكروه "كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون" وأنعم عليهم بالرزق ليشكروه:"ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون" وتجاوز عنهم بعفوه ليشكروه:"ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون" وسخر لهم جوارحهم ليشكروه:"وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون" وسخر لهم من الآيات ما يعينهم على شكره:"ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون" "وهو الذي جعل لكم الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا".

معاشر المسلمين:ومع كثرة ورود شأن الشكر وتزكية أهله فقد جنح أقوام عن شكر الله تعالى واجتالهم الشياطين فلم يشكروا ربهم مع إنعامه عليهم وكثرة آياته الموجبة لشكره:"إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون" "ليأكلوا من ثمره إذا أثمر وما عملته أيديهم أفلا يشكرون" "ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون" "ولكن أكثر الناس لا يشكرون".

معاشر المسلمين: ومن عظيم أمر الشكر وجليل ثمراته أن الشكر سبيل إلى مرضاة الله عن عبده "وإن تشكروا يرضه لكم"، ومن ثمرات الشكر أيضاً أنه سبب في زيادة النعم ودوامها:"وإذ تأذن ربكم لإن شكرتم لأزيدنكم" قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى:(قيدوا نعم الله بشكر الله) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر، ومن ثمراته أيضاً: كون أهله من السباقين إلى الخيرات والمقامات العلية لسيرهم في ركب أنبياء الله ورسله حيث كانت أولئك الصفوة عليهم السلام أكثر الناس شكراً لله واعترافاً بفضله ونعمه.

ومن ثمرات الشكر أيضاً أن الشاكرين أكثر الناس اتعاظاً واعتباراً بآيات الله تعالى مما يكون عوناً لهم على الثبات والبصيرة "ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور" "ومزقناهم كل ممزق إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور" "إن يشأ يسكن الريح

فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور"، ومن ثمرات الشكر أيضاً أن خيرية النعم ونزول بركتها معلق بشكر الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم:"عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاء شكر وكان خيراً له... الحديث" أخرجه مسلم عن صهيب رضي الله تعالى عنه.

معاشر المسلمين: وشكر الله تعالى يكون بالقلب واللسان والجوارح وبالنعمة نفسها؛ فأما شكر الله تعالى بالقلب فأن يعتقد العبد اعتقاداً جازماً لاشك فيه ولا ريب أنه لولا الله تعالى لما تيسرت نعمة من تلك النعم وأن من لازم ذلك أنه المستحق للعبادة لا معبود بحق سواه، وأما شكر الله تعالى باللسان فذلك بأن يلهج لسان العبد بشكر ربه وحمده دائماً، وأما شكر الله تعالى بالجوارح فبكفها عما حرم الله تعالى وبتسخيرها في طاعة الله ومرضاته، وأما شكر الله تعالى بتلك النعم المادية التي أنعم الله بها على عبده فبمراعاتها حق رعايتها وبالاستعانة بها على طاعة الله تعالى. قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(ومن لطائف التعبد بالنعم أن يستكثر قليلها ويستقل كثير شكره عليها ويعلم أنها وصلت إليه من سيده من غير ثمن بذله فيها ولا وسيلة منه توسل بها إليه ولا استحقاق منه لها وأنها لله في الحقيقة لا للعبد فلا تزيده النعم إلا انكساراً وذلاً وخضوعاً ومحبة للمنعم) الفوائد صـ ١١٢

اللهم اجعلنا لك شكارين لك ذاكرين، أقول قولي هذا ...

الخطبة الثانية

الحمد لله ...

معاشر المسلمين: لما كانت صفة الشكر للعبد صفة محمودة كان من المتقرر عند أهل السنة أن كل صفة كمال لا يعتريها نقص بوجه من الوجوه فالخالق أولى بها، ولذا وصف الله تعالى نفسه بهذه الصفة بل وسمى نفسه بالشاكر والشكور:"وكان الله شاكراً عليماً" "والله شكور حليم"

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:(وأما شكر الرب تعالى فله شأن آخر كشأن صبره، فهو أولى بصفة الشكر من كل شكور، بل هو الشكور على الحقيقة؛ فإنه يعطي العبد ويوفقه لما يشكره عليه، ويشكر للقليل من العمل والعطاء؛ فلا يستقله أن يشكره، ويشكر الحسنة بعشر أمثالها إلى أضعاف مضاعفة، ويشكر عبده بقوله بأن يثني عليه بين ملائكته وفي ملئه الأعلى، ويلقي له الشكر بين عباده، ويشكره بفعله؛ فإذا ترك له شيئاً أعطاه أفضل منه، وإذا بذل له شيئاً رده عليه أضعافاً مضاعفة، وهو الذي وفقه للترك والبذل، وشكره على هذا وذاك) وقال أيضاً:(ولما كان سبحانه هو الشكور على الحقيقة، كان أحب خلقه إليه من اتصف بصفة الشكر... كما أن أبغض خلقه إليه من عطلها واتصف بضدها، وهذا شأن أسمائه الحسنى: أحب خلقه إليه من اتصف بموجبها، وأبغضهم إليه من اتصف بأضدادها؛ ولهذا يبغض الكفور، والظالم، والجاهل، والقاسي القلب، والبخيل، والجبان، والمهين، واللئيم. وهو سبحانه جميل يحب الجمال، عليم يحب العلماء، رحيم يحب الراحمين، محسن يحب المحسنين، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، جواد يحب أهل الجود، ستار يحب أهل الستر، قادر بلوم على العجز، والمؤمن القوي أحب إليه من المؤمن الضعيف، عفو يحب العفو، وتر يحب الوتر، وكل ما يحبه فهو من آثار أسمائه وصفاته وموجبها، وكل ما يبغضه فهو مما يضادها وينافيها).

معاشر المسلمين: ومن عظيم فضل الله تعالى ورحمته ومن آثار شكر الله تعالى أن شكر العبد له أعظم مما أنعم عليه به، وهذا من واسع كرمه وجوده فلله الحمد من قبل ومن بعد.

عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما أنعم الله على عبد نعمة فحمد الله عليها إلا كان ذلك الحمد أفضل من تلك النعمة" أخرجه الطبراني.

وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ما أنعم الله على عبد نعمة فقال: الحمد لله، إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ" أخرجه ابن ماجه.

فنسألك اللهم أن تجعلنا من الشاكرين لنعمك المثنين بها عليك...